أربع رسائل في التصوف

لأبي القاسم القشيري

الدكتور قاسم السامرائي

حياته :

ابو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري شخصية صوفية فذة برزت في تاريخ التصوف الاسلامي بعد ان تفاقم الخلاف بين المتصوفة والفقهاء قبل ظهور الغزالي .

وانه لغريب حقاً ان تلف القشيري طوايا النسيان ، ووجه الغرابة يأتي من انه لم يحظ باهتمام دارسي التصوف الاسلامي مثل ما حظى الغزالي او فريد الدين العطار او الحلاج او حتى نجم الدين الكبرى او عبد الوهاب الشعراني [1] .

فبالرغم من ان القشيري كان استاذ ابي علي الفارمذي الذي تلمذ الغزالي عليه ، وبالرغم

---

(١) كتب عن الغزالي كثير من المستشرقين اهمهم كارادي فو ، مونتكري واط وغوشه ؛ و د . مكدونالد وفون هامر وآسين بلاثيوس . وغيرهم كثير .

اما العطار فكتب عنه نيكلسون وبروان وآربري وكتب الدكتور احمد ناجي القيسي كتاباً ممتعاً عن العطار يقع في جزئين وهو في طريقه للاسواق .

اما ماسينون فقد اشبع الحلاج دراسة وبحثاً حتى قرن اسم الحلاج به .

اما نجم الدين الكبرى فقد كتب الاستاذ فرتز مايرر مقدمة رائعة عنه في كتاب فوائح الجمال الذي نشره محققاً في سنة ١٩٥٧ في ويسبادن بالمانيا . وقد حققت رسالته في الطرق وكتبت لها مقدمة عنه في مجلة كلية الشريعة ـ العدد الرابع ١٩٦٨ .

من أن الغزالي استفاد كثيراً من تصانيف القشيري ، وخاصة في (احياء علوم الدين) فان من عني بالتصوف الاسلامي اغفلوا دراسته .

وقد نبه المستشرقون وخاصة البروفيسور آربرى [1] الى اهمية شخصية القشيري في الدراسات الصوفية ، فاعتبر محاولته في التوفيق بين التصوف الذي فقد تأثيره الزهدي على الناس وبين المدارس الفقهية التي رأت فية خروجاً على نظام الشريعة ، استمرارا لمحاولات الكلاباذي والسراج وابي طالب المكي والسلمي والتي انتهت بالنجاح الهائل الذي حققه الغزالي ، حيث احرز التصوف مكانة ثابتة واكيدة فى الاسلام ، وذلك بتأثير كتاباته التي تركزت على ربط التصوف بالقرآن والسنة .

ولو ذكرنا قول ابي سليمان احمد بن محمد الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ في المتصوفة : « اهل التصوف والتبطل ، فانهم جهال لا يتعلمون ، ومردة لا ينقادون ، قد ملك الشيطان قيادهم ، فهم والعلم على تضاد وخلاف » [2] لتوضحت في اذهاننا صورة الهوة العميقة التي كانت بين المتصوفة والفقهاء . ولعل نظرة عابرة في (تلبيس ابليس) لابن الجوزي تكفي للدلالة على عمق هذا الخلاف والتنافر [3] الذي حاول القشيري رأب صدعه .

ومن المستشرقين ايضاً ادوارد براون الذي كتب شيئاً يسيراً عن حياته في كتابه (تاريخ آداب ايران) ، وماسينون في (دائرة المعارف الاسلامية) [4] ، ونيكلسون في كتابه (دراسات في التصوف الاسلامي) حيث ذكره مراراً فى معرض حديثه عن الصوفي ابي سعيد بن ابي الخير ، وكان همه موجهاً الى اثبات وجود علاقة بين صوفينا الكبير وابن ابي الخير ، وقد اعتمد على نصوص اقتبسها من كتاب (اسرار التوحيد في مقامات الشيخ

---

(١) Sufism , London 1956 , P 71, 74 .

(٢) كتاب العزلة ، نشره عزت العطار : القاهرة ١٩٣٧ م ـ ص (٩٢)

(٣) انظر كتابي (رسائل الخراز) ص ٤ وما بعدها . او ص ١٥٩ من مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١٥ .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثاني ص ١١٦٠ .

ابي سعيد) [١] . وهذه النصوص التي اظهرت وجود مثل العلاقة لم تؤيدها نصوص اخرى في اي كتاب آخر [٢] . وكارادي فو كتب شيئاً يسيراً عن القشيري ورسالته [٢أ]

أما هارتمان فقد ترجم نصوصاً مختارة من الرسالة القشيرية الى الالمانية دون ان يكلف نفسه عناء الكتابة عن صاحب الرسالة [٣] .

ولعل الاستاذ آربرى اول من اولى القشيري اهتماما بالغاً ، فقد كتب عنه مقالا رائعاً تناول فيه جانبا واحداً من جوانبه العديدة ، وهو شخصية القشيري كمحدث [٤] .

ولا يخلو كتاب من كتبه في التصوف الاسلامي من ذكر له او اشارة به ، وهو الذي اقترح عليّ دراسة مخطوطة كتابه (المعراج) في سنة ١٩٦١ م ، وآمل ان تتاح لي الفرصة لنشرها قريبا مع كتب اخرى للقشيري .

اما الاستاذ اليولي Allioli فقد وصف مخطوط الرسالة القشيرية الموجود في ميونخ - المانيا وصفاً تحليلياً رائعاً ولم ينس ان يكتب عن مؤلف المخطوط مقالا نفيساً سماه « حول الرسالة القشيرية » [٥] .

ومن الذين كتبوا عن القشيري : الدكتور علي حسن عبدالقادر الذي نشر كتاب (المعراج) سنة ١٩٦٤ م للقشيري بتحقيق سقيم ومقدمة اسقم ، والدكتور محمدحسن الذي نشر ثلاث رسائل للقشيري في كتاب سماه (الرسائل القشيرية) نشره المعهد المركزي

---

(١) نشر الكتاب في بطرسبرج - روسيا سنة (١٨٩٩م) وقد نشر باللغة العربية سنة (١٩٦٦م) في القاهرة

(٢) انظر مناقشة نيكلسون في: Studies in Islamic Mysticism, Cambridge . 1921 , P 26 .

(٢أ) انظر كتابه عن الغزالي : ترجمة عادل زعيتر - رحمه الله - صفحة ١٦٣ - ١٦٨ .

(٣) Hartmann,Al-Kuschairis Davstellung des Sufitums,Berlin 1914 .

(٤) في كتاب ذكرى المستشرق بيدرسون : Al - Qushairi as Traditionist ,

(٥) Abhandlungen der Philosophisch- Philologischen Classe, Vol. I, Munchen 1835, pp. 55-78.

للابحاث الاسلامية في باكستان سنة ١٩٦٤ م .

ويحتوي كتاب (الرسائل القشيرية) على : —

١ — رسالة ـ شكاية اهل السنة بما نالهم من المحنة .

وهي رسالة موجودة برمتها في (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي الجزء الثانى ص ٢٧٥ ، واورد ابن عساكر في كتاب (تبين كذب المفتري) قسما منها ، ص ١١٠ .

٢ — رسالة ـ كتاب السماع .

وقد اعتبر هذا الكتاب ضائعاً . وقد حصلت على نسخة مصورة لمخطوطة اخرى منه موجودة في استانبول .

٣ — رسالة ـ ترتيب السلوك الى طريق الله .

في سنة (١٩٦٢ م) قمت بتحقيق هذه الرسالة ، وجعلتها ملحقا لاحد فصول اطروحتي وقبل المناقشة ظهرت الرسالة ذاتها محققة بقلم المستشرق (فرتز ماير) في مجلة (Oriens) في لايدن مع ترجمتها الالمانية . وفي سنة ١٩٦٣ / ١٩٦٤ م ظهرت في كتاب (الرسائل القشيرية) في باكستان ومع ظهور التحقيقين فقد نشرتها في كتابي « مسألة العروج » حيث وضحت النقوص الكثيرة في التحقيقين .

وقد قدم الدكتور محمد حسن كتابه هذا بمقدمة عن القشيري تقع في ثلاثين صفحة ، جمع فيها كل ما اورده كتّاب التراجم ، فلم يزد على ان رتب الشذرات ، واسقط ما تكرر منها .

واخيراً عندما حقق الاستاذ عبدالحليم محمود والاستاذ محمود بن الشريف كتاب (الرسالةالقشيرية) المطبوع مراراً . كتب المحققان مقدمة قصيرة جداً عن القشيري تجدها في صفحة ١٣ـ١٦ من الجزء الاول لا تليق بمكانة صاحب الرسالة .

وقد تناولت في كتابي (مسألة العروج في الكتابات الصوفية) الجوانب المتعددة لحياة القشيري في نيسابور ، لان دراسة البيئة التي عاشها القشيري تلقي ضوءاً ولو باهتاً على

المجتمع الذي ترعرع فيه القشيري ، ومن ثم اثر على شخصيته وثقافته .

وهنا سأكتفي بالخطوط العريضة لحياته دون ان امس التفاصيل ، فمن احب الاستزادة فعليه بكتاب (مسألة العروج) .

هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري النيسابوري الصوفي ، ولد في قرية استوا من اعمال نيسابور . قال الخطيب : سألت القشيري عن مولده فقال : في ربيع الاول من سنة ست وسبعين وثلاثمائة [1] .

وهو من العرب الذين جاءوا مع الفتح الاسلامي الى خراسان من اليمامة . وقد لزم بنو قشير جانب معاوية في حربه مع الامام علي مما حدا بأبي الاسود الدؤلي ان يهجوهم هجاء مراً ، وانك لتجد هذا الهجاء في تاريخ ابن عساكر [2] .

لم يستقر بنو قشير [3] وحدهم في خراسان ، وانما استقرت معهم قبيلة بني سليم التي تتصل ببني قشير بنسب المصاهرة ، اذ يروي الزبيدي ان ريطة بنت قنفذ السلمية هي ام قشير جد القبيلة [4] ، وقد برز من القبيلتين حكام حكموا خراسان . فمن بني سليم ، قيس بن هبيرة السلمي ، والاشرس السلمي ، وعبد الله بن خازم . ومن بني قشير ، ابن كندير القشيري ، وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري وابنه زياد الذي طرده أبو مسلم الخراساني من بلخ [5] .

وبالرغم من كثرة المصادر التي ترجمت للقشيري فاننا لا نعرف الا الامور التالية :

١ — كان من العرب الذين استقروا في استوا .

٢ — مات أبوه وهو طفل .

٣ — كان خاله أبو عقيل السلمي من وجوه دهاقين استوا .

---

(١) تاريخ بغداد ١١/٨٣ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ٧/٣٥٥ .
(٣) انظر دائرة الاسلامية « قشير » .
(٤) تاج العروس ، مادة : قشير .
(٥) قاسم السامرائي ، مسألة العروج ٣١ .

٤ — انه رحل في شبابه الى نيسابور ليتعلم طرفاً من الحساب حتى يتمكن من تولي الاستيفاء ، لحماية قريته من عسف عمال الخراج .

٥ — انه قرأ اللغة العربية على أبي القاسم الاليماني .

٦ — وفي نيسابور حضر حلقة الصوفي أبي علي الدقاق ، حيث استهواه الصوفي النيسابوري ، فانضم لتلاميذه . وهنا يتبادر الى الاذهان السؤال التالى :

متى رحل الى نيسابور ؟ .

وما نوع الثقافة التي تلقاها القشيرى قبل ارتحاله ؟ .

كل المصادر دون استثناء لا تقدم اية اشارة لسبب بسيط هو ان القشيري لم ينبه بعد ويشع ذكره ، وهو كأي فرد مسلم تلقى التعليم في المساجد ، فبدأ بالقرآن الكريم ، ومنه تدرج الى الحديث . بيد أن سبط ابن الجوزي ردد ما قاله جده ابن الجوزي فروى « انه كان يهوى مخالطة اهل الدنيا » [1] ، ولعل ابن الجوزي تحفظ في وصفه ، فلم يقل انه كان عابثاً لا دينياً ، ولكنه قال ما يريد بأدب جم .

واستاذه أبو القاسم الاليماني مجهول ، ولعله أبو القاسم علي بن الحسن الاليماني الذي كان اصله من الريّ ، الا انه اختار نيسابور مسكناً له ، وانه كان صديقاً لصاحب الديوان في بخارى ابي علي محمد بن عيسى الدامغاني [2] .

ويبقى السؤال : متى قبل الدقاق القشيري مريداً له ؟ .

هناك اكثر من اشارة يقدمها لنا كتاب (اسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد) للميهني واهم هذه الاشارات تلك التي تقول : (ان الامام القشيري كان صوفياً معروفاً يحيط به عدد كبير من المريدين والتلاميذ عند وصول أبي سعيد الى نيسابور [3]).

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ٨/٢٨٠ . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، باريس ورقة (١٤١ أ).

(٢) الثعالبي ، تتمة اليتيمة ، تحقيق عباس اقبال طهران سنة (١٣٥٣ هـ) ٢/٣٦ ، ٤/٩٣ ، ١٠٦

(٣) اسرار التوحيد ص٩٤ ، الطبعة الفارسية ، وقد ترجمته الى العربية إسعاد عبد الهادي قنديل سنة ١٩٦٦ . دراسات في التصوف الاسلامي باللغة الانجليزية ١٦ ، وانظر : مسالة العروج ٣٥ .

اما سنة وصول أبي سعيد فكانت على رأي نيكلسون ، « لا يمكن ان تكون قبل سنة ٤١٥ هـ » ، وعمر القشيري اذ ذاك (٣٩) سنة ، وهناك اشارة فريدة للقشيري نفسه نجدها في كتابه (الرسالة القشيرية) يقول فيها : (قدم على الاستاذ ابي علي الدقاق فقير في سنة خمس او اربع وتسعين وثلاثمائة من زوزن ، وعليه مسح وقلنسوة ، فقال له بعض اصحابنا ...) [1] ، فاذا كانت سنة (٣٧٦ هـ) السنة التي ولد فيها ، اذن يمكن ان نقول بشيء من الاطمئنان انه اتصل بالدقاق عندما كان عمره ١٨ سنة او قبلها بقليل . ونحن نعلم ان الدقاق توفى سنة ٤٠٦ هـ فيكون عمر القشيري عند وفاة الدقاق ٣٠ سنة ، وهنا يمكن ان نطمئن الى رواية الميهني السابقة .

في الادوار الاولى للتصوف ، كانت العلاقة بين الشيخ والمريد على ما يبدو تشبه تلك التي بين الشيخ وطالب العلم ، بشتى فروعه ، فقهاً كان أو نحواً ، اذ يواظب الطالب على الاختلاف الى استاذ واحد ، وبعد أن يكمل ما عند استاذه هذا يصح له ان ينتقل الى استاذ آخر ، وقد يصحب هذا الانتقال ان يزود الشيخ تلميذه باجازة تؤهله لان يروي ما اخذه عن هذا الشيخ . أما في التصوف فان العلاقة اخذت مفهوماً يختلف قليلا عن ذاك ، لان قبول المريد لايعتمد بالدرجة الاولى على رغبة السالك او الطالب او المريد ، بل يعتمد على رأى الشيخ في مدى صلاحية هذا المريد للطريق ، وكما في حالة دراسة العلوم الظاهرة يستطيع المريد ان ينتقل من شيخ الى آخر حتى يستقر على من يدله على الطريق ، وقد يطلب الشيخ من المريد ان يصحب شيخاً بعينه ، لانه قد تفرس فيه ان ذاك الشيخ هو اصلح لتربيته منه [2] ، اما ان يحاول المريد الوصول الى الله بدون شيخ فان اكثر شيوخ المتصوفة بعد القرن الثاني للهجرة اكدوا على وجوب ان يربط المريد نفسه بشيخ ، والا

---

(١) الرسالة القشيرية ٢/٥٣٨ .

(٢) انظر الاصول العشرة في الطرق ، لنجم الدين الكبرى ، مجلة كلية الشريعة العدد الرابع ١٩٦٨ .

فامامه الشيطان [1] .

والاستاذ أبو علي الدقاق استاذ القشيري يؤكد ان (المريد اذا لم يكن له استاذ يتخرج به لايجيء منه شيء) [2] . وابو سهل الصعلوكي استاذ إبي عبد الرحمن السلمي قال (من قال لاستاذه : لم ؟ . لم يفلح ابداً) [3] . والقشيري نفسه يشرح قولا للدقاق فيقول : (فمن صحب شيخاً . ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة على ان الشيوخ قالوا : عقوق الاستاذين لا توبة عنها) [4] . وللصحبة آداب اكد عليها شيوخ المتصوفة ، ولم يجدوا بأساً في ربط هذه الآداب بآداب الصحابة مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بل ذهبوا الى أبعد من هذا ، (فالشيخ للمريدين امين الالهام ، كما ان جبريل أمين الوحي ، فكما لايخون جبريل في الوحي لايخون الشيخ في الالهام ، وكما ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا ينطق عن الهوى فالشيخ مقتد برسول الله — صلى الله عليه وسلم — ظاهراً وباطناً) [5] ، وعلى المريد ان لا يكتم شيئاً عن استاذه ، (ولو كتم نفساً من انفاسه عن شيخه فقد خانه في حق صحبته) [6] ويبدو ان القشيري قد مرّ بكل هذه المعاناة التي طلبها من المريد في وصيته التي اوجز فيها آداب الصحبة ، ولعله في وصية المريدين اختصر كتاب شيخه أبي عبد الرحمن السلمي — آداب

---

(١) القول لأبي يزيد البسطامي (من لم يكن له امام فامامه الشيطان) .انظر الرسالة القشيرية ٢/٧٣٥ .

(٢) و (٣) الرسالة القشيرية (٢/٥٧٨ ، ٧٣٥) وعوارف ٤١٠ .

(٤) المصدر نفسه ٢/٦٣٤ . وانظر كذلك (مختصر في بيان مذهب ارباب السلوك) لمؤلف مجهول ، مكتبة الأوقاف برقم (٧٠٧١) ورقة (٢٠٧ أ) ، انظر كذلك (مسألة العروج) ص ١١١ وما بعدها ، اللمع ١٧٨ .

(٥) السهروردي ، عوارف المعارف ، بيروت ١٩٦٦ م ص (٤٠٤) ، وانظر كذلك (٤٠٣) (٤٢١) .

(٦) الرسالة القشيرية ٢/٧٢٧ ـ وانظر كذلك كشف المحجوب عن الصحبة ٣٣٥ ـ ٣٤٠ .

الصحبة وحسن العشرة —[1] ، فان الخطوط العامة تكاد تكون واحدة في الاثنين ، وهذا النوع من الكتب ليس جديداً ، إذ ذكر لنا ابن النديم اسماء علماء من الصوفية الذين وضعوا كتباً في آداب الصحبة وآداب المريدين ، منهم يحيى بن معاذ الرازي (٢٠٦ هـ) الذي الف كتاباً اسمه (كتاب المريدين) ، ومحمد بن الحسين البرجلاني (— ٢٣٨ هـ) الذي صنف كتاباً اسمه (آداب الصحبة) ، وان أبا الحسن علي بن محمد بن احمد المصري (— ٣٣٨ هـ) صنف كتاباً سماه (كتاب المتحابين)[2] ، وذكر الهجويري اسماء رجال من الصوفية الذين ألفوا كتباً أو رسائل في هذا الشأن ، منهم الجنيد الف كتاباً اسمه (تصحيح الارادة) ، واحمد بن خضرويه الف كتاباً اسمه (الرعاية بحقوق الله) ، ومحمد بن علي الترمذي صنف كتاباً اسمه (بيان آداب المريدين) . واضاف الهجويري اسماء صوفية آخرين دون ان يذكر اسماء الكتب التي الفوها . كأبي القاسم الحكيم ، وأبي بكر الوراق وسهل بن عبد الله التستري ، والسلمي والقشيري[3] ـ واضيف ان أبا سعيد الخراز (٢٨٦ هـ) الف كتاباً اسمه (درجات المريدين)[4] وابن الجوزي (٥٩٧ هـ) (صنف كتاباً اسمه (ارشاد المريدين)[5] . والشيخ أبا النجيب السهروردي (٥٦٣ هـ) صنف كتاباً اسمه (آداب المريدين)[6] . وعمر بن محمد البكري صنف كتاب «ارشاد المريدين»[6] وعزيزي بن عبدالملك شيذله (٤٩٤ هـ) كتاب « آداب المريد »[6أ] .

والقشيري نفسه الف في آداب الطريق ، وصلنا كتابه (ترتيب السلوك في طريق الله)

---

(١) نشر في القدس سنة (١٩٥٤ م) انظر وصية المريدين في الرسالة ٧٣١/٢ — ٧٥٠ .

(٢) الفهرست ٢٦٠ — ٢٦٢ .

(٣) كشف ٣٣٨ الطبعة الانكليزية ، الف السلمي (آداب الصحبة) ، والقشيري (ترتيب السلوك في طريق الله) .

(٤) انظر رسائل الخراز ١٨ .

(٥) انظر عبد الحميد العلوجي ، مؤلفات ابن الجوزي ٦٧ ، ٢٥٩ عنوانات كتبه .

(٦) الكشاف عن مخطوطات خزائن الاوقاف ١٣٢ ، ٢٠٥ .

(٦أ) محفوظ في مكتبة قسطموني بتركيا .

بيّن فيه بوضوح ما على المريد عمله واتباعه ، اذ يرى ان الاستاذ يجب ان يشترط (على المريد ان يختار الفقر على الغنى ، والذل على العز ، والله على غيره ...) ، ثم بعد ان قبل هذه الشرائط يقول له الاستاذ — قبلتك ... — ويقول له : قل الله — الله — الله [1] .

ويستمر القشيري في وصف الطريق والرياضات التي مرّ بها والمعاناة التي فرضت عليه حتى يصل بالتالي الى (موضع كنت ارى جميع المخلوقات من نفاذ البصر) [2] .

وفي كتاب (ترتيب السلوك) مسألة تتصل بحياة القشيري الصوفية الاولى ، فقد ورد النص التالي :

(ومن خلوص الأحوال بيني وبين أبي الفوارس اني كنت ليلة من الليالي معه فأخذه النوم ، وكانت ليلة العيد ، وأبو الحسن عندي ، فخطر ببالي : لو كان لنا سمن لصنعنا كذا .. وكذا .. فقال أبو الحسن في النوم ...) واشارة اخرى (فلما اشتد بي ذكر القلب ، قال لي أبو الحسن ـ اذهب الى بعض الرساتيق معي ـ ثم مال بي في بعض الطريق واقعدني على حجر وقال : قل خداي ... ثم في تلك الليلة ردني الى البلد) .

وفي هذا النص ورد الاسمان : أبو الحسن ، وأبوالفوارس . فهل هما من مريدي الشيخ الدقاق ؟ . ام ان أبا الحسن هذا كان استاذاً للقشيري ؟! لانه على ما يبدو يمتلك القوة لكي يطلب من القشيري ما يطلبه الاستاذ من المريد عند ترديد الذكر [3] ، فاذا كان استاذه فهذا الفرض يعني انه اتصل به قبل سنة (٣٩٤) او (٣٩٥ هـ) أي عند ما كان عمر القشيري اقل من (١٨) سنة ، اي قبل اتصاله بالدقاق ، وحتى لو كان هذا الفرض صحيحاً فمن هو أبو الفوارس ؟؟.

فرتز ماير يتخبط في حيرته ، ولا يدري على اي افتراض يستقر ، وكل الذي يراه بعد مناقشة طويلة ان ابا الحسن هذا كان اكثر تمرساً على معاناة الطريق ، لذلك استطاع ان

---

(١) انظر النص في مسألة العروج ١٥٨ .
(٢) مسألة العروج ايضاً ١٦٥ .
(٣) انظر النص اعلاه : ويقول له قل : الله ... الخ .

يرشد القشيري . أما أبو الفوارس فهو كنية ثانية لابي الحسن [1] .

أما الدكتور محمد حسن فظن ان ابا الفوارس هو الحسن بن احمد بن محمد بن فارس بن سهل أبو الفوارس . قال الخطيب عنه : وكان ثقة ، يسكن بالجانب الشرقي من بغداد ، توفى سنة ٤٢١ هـ ، ودفن في مقبرة الخيزران [2] ، اما أبو الحسن فهو عنده = أبو الحسن علي ابن احمد الخرقاني المتوفى سنة ٤٢٥ هـ [3] .

ومن هذه الافتراضات يمكن ان نقبل افتراض الاستاذ فرتز ماير في ان ابا الحسن كان ارسخ قدماً في الطريق من القشيري ، لذلك استطاع ان يرشده الى الذكر الصوفي . لان الدليل علي هذا الافتراض واضح في رسالة ـ ترتيب السلوك ـ .

اما افتراضه الثاني في ان ابا الحسن هو أبو الفوارس فينقصه الدليل ، ومن ثم فان وجود هذين الاسمين يوحي ان هناك شخصين لا شخصاً واحداً .

(ومن خلوص الاحوال بيني وبين ابي الفوارس اني كنت ليلة من الليالى معه) ، و (كانت ليلة العيد ، وابو الحسن عندي) ، لذلك ليس عسيراً ان نرى وجود شخصيتين منفصلتين .

اما افتراض الاستاذ محمد حسن في ان ابا الفوارس هو الذي كان يسكن بالجانب الشرقى من بغداد ـ على رواية الخطيب ـ فما ادرانا انه هو الذي عاشره القشيري ؟ ، اذ ليس هناك اشارة الى انه سكن او زار نيسابور او حتى خراسان .

اما افتراضه الثاني في ان ابا الحسن هذا هو ابو الحسن الخرقاني المتوفى سنة ٤٥٢ هـ فهو مجرد افتراض لم يدعمه بدليل تاريخي . ولعل هـذا الافتراض اقرب الى القبول من اي افتراض آخر ، لان الاشارات والحكايات التي يزودنا بها كتاب (حالات وسخنان)

---

(١) Fritz Meier , Qushairi's Tartib as - Suluk , Oriens , 16 , 1963 , 8.

(٢) الرسائل القشيرية ٧٩ ، حاشية ١ . انظر : تاريخ بغداد ٧ / ٢٧٨

(٣) نفس المصدر .

لابن المنور الميهني و (كشف المحجوب) للهجويري، و (تذكرة الاولياء) للعطار، وكتاب (اعلام الاخيار) للكفوي تشير الى ان القشيري كان على علاقة وثيقة بابي الحسن الخرقاني، الا ان القشيري نفسه لم يشر في اي كتاب من كتبه او رسائله الى وجود مثل هذه العلاقة او حتى لم يذكر اسم الخرقاني اطلاقا، مع انه ذكر كثيراً من الصوفية الذين عاصرهم والذين هم اقل شأناً من الخرقاني.

وذكر الهجويري ـ تلميذ القشيري ـ انه سمع الامام القشيري يقول: (عندما جئت الى خرقان وجدت نفسي عاجزاً عن التعبير عما اريد من شدة الاجلال والاحترام للشيخ الخرقاني، حتى ظننت انني قد جردت من ولايتي (Saintship) [1]. وفي مرة يطلب الخرقاني من القشيري الذي جاء الى خرقان لزيارته وهو في طريقه الى مكة ان يرجع الى نيسابور لمصالحة ابي سعيد بن ابي الخير، فاطاع القشيري امر الخرقاني [2]، فهل هذه الشذرات تعني ان صوفينا اتصل بالخرقاني قبل اتصاله بالدقاق ؟؟، للاجابة على هذا السؤال نحتاج الى دليل. وهذا ما لا نستطيع ان نقدمه من كتب او رسائل القشيري التي استطعت الحصول عليها من شتى مكتبات العالم او من المصادر التي ترجمت له.

فلو قبلنا هـذا الافتراض، وقلنا ان ابا الحسن، الوارد ذكره في (ترتيب السلوك) هو ابو الحسن الخرقاني فلماذا اذن لم يذكره القشيري مع الشيوخ الذين رآهم او روى عنهم ؟، ومع هذا فان القشيري نفسه يروي في رسالته ما يلي:

(كان للاستاذ ابي علي (الدقاق) جارية تسمى فيروز ... فسمعته يقول: كانت فيروز تؤذيني يوما ... فقال لها ابو الحسن القارىء ـ لم تؤذين الشيخ ؟؟، فقالت: لاني احبه [3]

هذه الحكاية تدل على ان ابا الحسن القارىء هذا كان صديقاً مقرباً للدقاق الى حد انه

---

(١) كشف المحجوب ١١٣، تذكرة الاولياء ٢/٢٠٧، النص الفارسي في كشف المحجوب هو (از حشمت ان پيرتا پندا شتم كي ازولايت خود معزول شدم) ٢٠٥.

(٢) حالات وسخنان (٩٩)، مطبوع مع كتاب اسرار التوحيد في بطرسبرج ـ روسيا ١٨٩٩

(٣) الرسالة القشيرية ٢/٦٢١.

يؤنب جارية الدقاق امامه ، فلعله هو ابو الحسن الذي اورده القشيري في رسالته (ترتيب السلوك) . اذن من هو ابو الفوارس ؟ .

كل المصادر التي توفرت لدي لا تقدم اية اشارة تلقي ضوءاً على شخصيته ، وسوف تظل مجهولة يلفها الغموض حتى نكتشف شيئاً يدلنا عليها ، واراني منساقاً الى اقتباس قول (فرتز ماير) الذي لخص فيه حيرته .

(انه من المستحيل عندي ان اكتشف من يكون هؤلاء ؟)[1] ، فلعلهما كانا من اقرانه او اصحابه في الطريق واللذين اختصهما بصداقته ، او لعلهما كانا من تلامذة الدقاق البارزين فعهد اليهما بتربية القشيري في بدايته قبل ان يقرر اهلية القشيري للطريق .

لعل الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٢ هـ اقدم من ترجم للقشيري فقال : (سمع احمد بن محمد بن عمر الخفاف ومحمد بن احمد بن عبدوس المكي وابا نعيم عبدالملك بن الحسن الاسفرائيني وعبدالرحمن بن ابراهيم بن محمد المزكي ومحمد بن الحسن بن فورك والحاكم ابا عبدالله بن البيع ومحمد بن الحسين العلوي وابا عبدالرحمن السلمي ، وقدم علينا في سنة ثمان واربعين واربعمائة . وحدث ببغداد وكتبنا عنه وكان ثقة)[2]

وروى ابن عساكر ان سبط القشيري المؤرخ ابا الحسن عبدالغافر بن اسماعيل الفارسي (٥٢٩ هـ) كتب عنه : ـ

---

(١) فرتز ماير ، مقدمه كتاب ـ ترتيب السلوك ـ ص ٨ .

(٢) تاريخ بغداد ١١/٨٣ ، انظر ترجمته كذلك في ابن عساكر (تبيين كذب المفتري) ٢٧٢ ، الباخرزي دمية القصر ١٩٤ ، انساب قشيري ، منتظم ٨ / ٢٨٠ ، الكامل وفيات سنة (٤٦٥) . وفيات الاعيان ١/٣٢٤ ، الوافي بالوفيات مخطوط باريس (١٠٦٦) ورقة ٢٥٢) ، طبقات السبكي (٢٤٣) ، النجوم ٥/٨١ ، شذرات الذهب ٣/٣٢١ ، طبقات الشافعية للاسنوي ، مخطوط كمبردج (or 482) ورقة (١٥٣) ، آثار البلاد للقزويني ٣١٧ ، روضات الجنات ٤٤٤ ، مرآة الجنان لليافعي ٣/٩١ ، البداية والنهاية ١٢/١٠٧ ، اللباب ٢/٢٦٤ ، طبقات المفسرين ٢١ ، مسالك الابصار ٥/١٩ ، انباه الرواة ٢/١٩٣ ، وهناك مصادر اخرى تجدها عند الزركلي وكحالة وفي كتابي (مسألة العروج) .

(الامام مطلقاً ، الفقيه المتكلم الاصولي المفسر الأديب النحوي الكاتب الشاعر ، لسان عصره ، وسيد وقته ، وسر الله بين خلقه ، شيخ المشايخ ، واستاذ الجماعة ، ومقدم الطائفة ، ومقصود سالكي الطريقة ، وبندار الحقيقة ، .. لم ير مثل نفسه ، ولا رأى الراؤون مثله في كماله وبراعته ، جمع بين علم الشريعة والحقيقة ، اصله من ناحية استوا ، من العرب الذين وردوا خراسان وسكنوا النواحي ، فهو قشيري الأب سلمي الأم ، وخاله أبو عقيل السلمي من وجوه دهاقين استوا ، توفي ابوه وهو طفل ، فوقع الى أبي القاسم الاليماني ، فقرأ الادب والعربية عليه بسبب اتصاله بهم ، وقرأ على غيره وحضر البلد (نيسابور) واتفق حضوره مجلس الاستاذ أبي علي الحسن بن علي الدقاق ، وكان لسان وقته ، فاستحسن كلامه . وسلك طريق الارادة ، فقبله الأستاذ ، واشار عليه بتعلم العلم ، فخرج الى درس الشيخ الامام أبي بكر محمد بن بكر الطوسي ، وشرع في الفقه حتى فرغ من التعليق ، ثم اختلف الى الاستاذ الامام أبي بكر بن فورك المقدم في الأصول وبرع فيها وصار من اوجه تلاميذه وأشدهم تحقيقاً وضبطاً ، وقرأ عليه اصول الفقه وفرغ منه ، وبعد وفاة أبي بكر اختلف الى الاستاذ أبي اسحاق الاسفراييني ، وقعد يسمع جميع دروسه ، وأتى عليه أيام ، فقال له الاستاذ : هذا العلم لايحصل بالسماع ، فأعاد عليه ما سمعه منه ، فقال له : لست تحتاج الى دروسي ، بل يكفيك ان تطالع مصنفاتي ، وتنظر في طريقتي ، وان اشكل عليك شيء طالعتني به : ففعل ذلك ، وجمع بين طريقته وطريقة ابن فورك ، ثم نظر بعد ذلك في كتب القاضي أبي بكر بن الطيب (الباقلاني) ، وهو مع ذلك يحضر مجلس الاستاذ أبي علي الدقاق الى ان زوجه كريمته ، وبعد وفاة الأستاذ عاشر أبا عبد الرحمن السلمي الى أن صار استاذ خراسان وأخذ في التصنيف ، فصنف التفسير الكبير قبل العشر واربعمائة ...) [1] .

(ومن جملة احواله ما خص به من المحنة في الدين والاعتقاد وظهور التعصب بين الفريقين في عشر سنة اربعين الى خمس وخمسين واربعمائة ، وميل بعض الولاة الى الاهواء ،

(١) ابن عساكر — تبيين كذب المفتري — ٢٧٢ .

وسعى بعض الرؤساء والقضاة اليه بالتخليط حتى ادى ذلك الى رفع المجالس ...) [1] .

والمحنة التي أشار اليها عبد الغافر هي محنة سب الأشعري من منابر خراسان ، ولهذه المحنة سببان : سياسي ومذهبي ، فقد كان عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرل بك معتزلياً يكره الأشاعرة فحسن للسلطان لعن المبتدعة من المنابر ، فأمر السلطان بذلك ، فاتخذ الكندري ذلك ذريعة لذكر الأشعرية ، وصار يقصدهم بالاهانة والأذى والمنع من الوعظ والتدريس وعزلهم من خطابة الجوامع ، واستعان بطائفة من المعتزلة حتى ان الفتنة شملت بلاداً اسلامية اخرى بما فيها خراسان والشام والحجاز والعراق . ولأن أبا سهل بن الموفق كان زعيما للشافعية في خراسان، وكان (مرموقاً بالوزارة) فعظم ذلك على الكندري ، اذ خشي ان يثب على الوزارة . ويرى ابن تغرى بردى ان سبب سب الاشعري يرجع الى ان طغرل بك وقف على كتاب الأشعري ـ مقالات الاسلاميين ـ فأمر بلعنه على المنابر ، وقال ـ هذا يشعر بأن ليس لله في الأرض كلام ـ فعز ذلك على أبي القاسم ، وعمل رسالة سماها (شكاية أهل السنة فيما نالهم من المحنة) ... ودخل القشيري وجماعة من الاشعرية على السلطان وسألوه رفع اللعن ، فقال : « الأشعري عندي مبتدع يزيد على المعتزلة ، لأن المعتزلة اثبتوا ان القرآن في المصحف ، وهذا نفاه » [2] ، وهنا يشير طغرلبك بالتأكيد الى قول الأشعري في القرآن (لانقول انه مخلوق ولا غير مخلوق) [3] ، بيد ان مقالات الاسلاميين تقدم لنا سبباً آخر اقوى للعن من قول الاشعري في القرآن ، وذلك ان الاشعري جعل الامام الاعظم أبا حنيفة مرجئياً [4] ، والسلاجقة ـ على رأي بارتولد ـ قد تعصبوا بعنف لمذهب أبي حنيفة [5] ، فكان رد الفعل عنيفاً ضد الاشاعرة . وحاول

---

(١) نفس المصدر (٢٧٤) .

(٢) النجوم الزاهرة ، حوادث سنة (٤٥٥) ٥٠/٥٤ — ٥٥ .

(٣) مقالات الاشعري ١٥٣ ، ٢٩٢ .

(٤) الاشعري ، مقالات الاسلاميين ، رتر ١٣٨ .

(٥) Histoire des Turcs D' Asie Central , Paris 1945 , p.86 .

القشيري ووجوه الاشاعرة ان يصلوا الى حل مع طغرلبك ليوقفوا هـذا العداء السافر ، ويضطر طغرلبك الى دعوة رؤساء الاشعرية الى اجتماع معهم فيبتدره القشيري بالسؤال : (هل صح عندك عن الاشعري هذه المقالات ؟) فقال طغرلبك : لا .. لـكنه مبتدع يزيد على المعتزلة ، ويستغرب القشيري من قلة علم طغرلبك ، اذ كيف يصرح بأنه لايعرف مذهب رجل على الحقيقة وتصح عنده مقالته ، ثم يبدعه من غير تحقق مقالته [1] . ولم تفد الطرق السلمية ، لان الوزير الـكندري مسيطر على السلطان (وما أفاد شيء من التدبير اذ كان الخصم السلطان ، والسلطان محجباً بواسطة ذلك الوزير) [2] .

ورأى الاشـعري في القرآن يقف بين تشـدد الحنابلة في ازليته وازلية ما يكتب فيه ونفي المعتزلة لازليته والقول بخلقه . فهو يرى « ان كلام الله قديم ، غير أن التعبير عن هذا الـكلام بالفاظ وحروف ليس سوى اشارات معروضة على الانسان ، وهذا التعبير هو حادث .. » [3] وسوف نجد بعد قليل ان القشيري في قصيدته العقائدية لم يزد على ان عرض رأي الاشعري في خلق القرآن ورؤية الله في الآخرة ومسـائل الصفات الالآهية . ولما لم تجد الوسائل السلمية في حمل السلطان طغرل بك على ايقاف اللعن لجأ القشيري للامة الاسلامية يستفتيها في رسالته الرهيبة التي سماها « شكاية اهل السنة بما نالهم من المحنة » فيقول فيها :

« تخبر عن بثة مكروب ونفثة مغلوب ... ومما ظهر ببلاد نيسابور من قضايا التقدير في مفتتح سـنة خمس واربعين واربعمائة من الهجرة ما دعى اهل الدين الى شق صدور صبرهم وكشف قناع ضيرهم ؛ بل ظلت الملة الحنيفية تشكو غليلها وتبدي عويلها .. » [4]

وقد جالت هذه الرسالة في البلاد وازعجت نفوس اهل العلم بسببها فانبرى الحافظ احمد بن

---

(١) السبكي ، طبقات الشافعية ٢/٧/٢ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) كارادي فو ، الغزالي ، القاهرة ١٩٥٩ ترجمة زعيتر ص ٣٠

(٤) السبكي : ٢/٢٧٦

الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ فكتب للوزير الكندري رسالة طلب فيها « اطفاء الثائرة وترك السب وتأديب من يفعله » [١] ووصلت الى بغداد فكتب شيوخ المذاهب الاسلامية استفتاء يكفّرون فيه مسببي الفتنة ويوجبون على ولي الامر « الانكار عليه وتأديبه » [٢] بيد أن السب لم يتوقف الا بوفاة طغرل بك وسيطرة الب ارسلان ووزيره نظام الملك الشافعي على الحكم حيث ازال الاخير ضلال طغرل بك ووزيره ورد الى الاشاعرة سابق منزلتهم واستدعى المبعدين الذين هربوا كامام الحرمين الجويني والقشيري واسبغ عليهم حماية السلطة فأنشأ المدارس النظامية في بغداد ونيسابور والبصرة لتدريس المذهب الشافعي .

« للكلام بقية »

---

(١) السبكي : ٢/٢٧٥ ، مختار ذيل تاريخ بغداد مخطوط كمبرج 66 . 13 R ورقة ٦٩ أ طبقات السبكي الوسطى مخطوط كمبرج ورقة ٣٠ ب .

(٢) السبكي : ٢/٢٦٠ .

عن المخطوطات

١ — كتاب مختصر في التوبة : في سبع ورقات من الحجم المتوسط ويقع في اول المجموعة التي تحوي :

١) فصل في التوبة يظهر انه منقول من كتاب حديث لمؤلف مجهول

٢) رسالة في الذكر ، لمؤلف مجهول بالفارسية

٣) فصل في المجاهدة بالفارسية

٤) رسالة في احوال المريد اولها : قال بعض المشايخ في احوال المريد ...

٥) الاشارة في رفع اليدين في الصلاة مؤلفها مجهول

٦) فصل في اسرار الوضوء مؤلفه مجهول

٧) رسالة السائر الحائر الواجد لاحمد بن عمر بن محمد الخيوفي الخوارزمي المعروف بنجم الدين الكبرى المتوفى سنة ٦١٨هـ بالفارسية

٨) مختصر في آداب الصوفية والسالكين لطريق الحق لعبد الله الانصاري [1] والمجموعة كتبت سنة ٧٧٠ هـ وهي محفوظة في مكتبة شهيد علي بتركيا تحت رقم ١٣٩٣ ومنها ميكروفلم في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم ٤٧٠ تصوف . وبالرغم من الجهود المضنية فلم اعثر على ذكر لها عند من ترجم للقشيري فلم يرد لها ذكر عند بروكلمان او حاجي خليفة او البغدادي في هدية العارفين او في ذيل كشف الظنون .

« للكلام بقية »

---

(١) نشر نصه الفارسي S. de Laugier de Beaurccuiel في مجلة :
Bulletin de L'Institute Francais d'Archèologie Orientale, Tom LIX 1960
وقد ترجم النص للفرنسية

اربع مخطوطات نادرة فى التصوف

لابي القاسم القشيري

المتوفى سنة ٤٦٥ هـ

١ — كتاب مختصر في التوبة

٢ — كتاب عبارات الصوفية ومعانيها

٣ — كتاب منثور الخطاب في مشهور الابواب

٤ — القصيدة الصوفية .

كتاب « مختصر في التوبة »

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله اهـل الحمد والثناء والصلاة على محمد خير الانبياء وعلى آله الاصفياء واصحـابه البررة الاتقياء ، وسلم تسليماً كثيراً .

قال الاستاذ ابو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري ـ رحمة الله عليه ـ سألت اسعدك الله عن التوبة واحكامها ودلائل صحتها واعلامهـــا فاجبتك مستعيناً بالله في ادامة التوفيق والهداية لأرشد الطريق وبه القوة والحول ومنه المنة والطول .

١ ـ فصل في حقيقة التوبة : ـ

التوبة في اللغة الرجوع وعلى لسان اهل العلم : ندم [1] مخصوص يحصل على شروط وهو ان يكون ندمه على قبيـح فعـــله لما تعبد الله به من ايجاب الندم عليه وندبه الى الرجوع اليه وشروطها : العزم على ان لا يعود الى مثل ما اقترفه ولا يتعاطى شيئاً من قبيـح ما اسلفه ولا بد من مفارقة ما على مثله ندم والتجرد في الحال عن نظير ما قدم فالرجوع عما حصل محال ولـكن الندم أقيم مقاومة والاصرار على حمل لا يبقى فهو مستحيل لـكن العذر على فعل مثله انيب منابه . فهذا على شرط العلم والعبادة فاما بيان اهل الاشارة فيقال : التوبة خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء . التوبة ذوبان الحشاء لما عمل من الخطأ . نار في القلب تتلهب وصدع في القلب لا يتشعب . حرقة بالخجل مقرونة ومهجة بالاسف مشحونة. مداواة السقم بمقاساة الندم .

---

(١) في الاصل الندم .

شرائط التوبة : مجانبة الاشرار ومصاحبة الاخيار . هجران من ساعدك على المعاصي وصحبة من يرشدك بحسن التواصي . اطالة الفكرة في مواطن الخلوة وادامة العبرة على قبائح الجفوة ، غض الابصار عن الاغيار . وصون الاسرار عن الاقذار . مطالعة الكرب بعين الفؤاد وملاحظة الغم لما سبق به الميعاد . بغض الزلة لما احببت ودوام الذكر لقبيح ما ارتكبت . ان تكون مفارقة الحياة احب اليك من معاودة الزلات . نحول البدن ولزوم الحزن . سرعة الدمعة لتمكن اللوعة . خفض الصوت وهدوّ السمت .

٢ — فصل في صفة التائب : التائب مشفق من عصيانه . مطرق بين اخوانه . مستدام لربه مستهام قلبه . ظاهر خشوعه متبادرٌ دموعه . ضئيل[1] كلامه قليل منامه . يسير اكله وحيد اهله . لاينقض عقده ولا يرفض عهده . يعرف انتقاصه ويطلب خلاصه . ان طلبته وجدته في فكرته وان سائلته خاطبك بعبرته . لا تسكن حرقته ولا تزول دمعته[2] . من راه انتبه من غفلته ومن جالسه تاب من زلته . فهو حقير عند نفسه غريب في ابناء جنسه . كريم على ربه . مستوجب من الله صادق حبه . صحيح تحسبه سقيماً وغريب تظنه مقيما .

مكتئب يندب اشجانه ... يذكر في الخلوة عصيانه
يخفي لهيباً بين احشائه ... يطلب من مولاه رضوانه
قد كتب الدمع على خده ... تبارك الله وسبحانه

* * *

دعوه يشفي سقم احشائه ... بعبرة تخبر عن دائه
افكر في كثرة عصيانه ... فانخلع القلب من اعضائه

هل يجب تجديد الندم عند ذكر التوبه ابداً مادام العبد يوصف للتكلف فلابد من تذكر ما سلف من ان يستديم الاسف . من باشر الزلل لزمه استصحاب الخلل . ومن زلّ وقع فاذا غُفر [له] ارتفع . فمن ايقن وقوعه فليترك الى ان يتحقق بالانتعاش هجوعه . وليسكب على سالف الزلل دموعه . ذِكرُ الذنوب مع زوال الندم اصرار واغترار .

(١) ضئيل .
(٢) رقته . ولعل الصواب ما اثبتناه .

فالاصرار سمة الهجر والاغترار امارة المكر . المهجور مطرود والممكور مردود . والزلة ترك حرمةٍ والندم عند ذكرها ترك حِشمَةٍ فالاول يؤذن بالاحتراق في المآل والثاني يؤذن بالفراق في الحال .

محترق الاحشاء من حسرته ... ممتحق الشاهد من حيرته
يذوب من حشمته كلما ... افكر فيما كان من عثرته
يا قادراً يفعل ما شاءه [1] ... ارحم فتى جرد من قدرته

الى متى تقبل التوبة : مادام الايمان بالغيب انتظر معه غفران الرب ومن لم يعاين الناس لم يقع الياس وما لم ينكشف الغطاء صحت التوبة من الخطأ . من لم يقع في السكرة صح ندمه على العثرة من لم تنته اليه النوبة لم يغلق عليه باب التوبة . من لم يصادفه الاجل نفعه الوجل والخجل . من لم ينزع روحه فابواب التوبة عليه مفتوحة . من تاب قبل عيانه حكَمَ الشرع بغفرانه . من رجع قبل هجوم عيبه أمن من حلول خيبه .

يا من تمادى مصراً ... وماله توبة نصوح
ارجع فان الطريق رحب ... ما دام في النفس روح
الوعد منك كذب ... والعهد مني صحيح
أهلاً وسهلاً بعبد ... له الى عفونا جنوح

توبة من له خصم ان نال من ماله وكان ما اخذ باقياً بحاله لزمه الرد الى صاحبه فان لم يجده فالى وكيله ونائبه ، فان تعذر فالى القاضي . الا ان يبرئه [2] بحسن التراضي . فان مات ذو الحق فالى وارثه المستحق .

فان كان المأخوذ تالفاً استحق رد البدل وتسليمه ، اما القيمة واما المثل . فان عجز فالواجب ان يعتقد ارضاؤه عند القدرة ويرفع الى الله سبحانه في ذلك عذره . فان مات عاجزاً فالله لايؤاخذه بفضله بل يرضي خصمه بكرمه [3] وطوله ، اما بأن يدفع اليه من اعماله

(١) في الاصل : شاه . (٢) يبريه . (٣) مكرمة

أو يرضيه من قلبه بحسن افضاله ومن نال من عِرض اخيه قصاصاً لم يجد الا بتمكينه من استيفائه من مظلمته . فان عابه أو اغتابه أو عمل شيئاً ينوب منابه وجب استرضاؤه فان تعذر فالاستغفار له بظهر الغيب ودعاؤه .

اصعب منع للفتى خصمه ... ويل لمن كان له خصم
يحجبه في الوقت عن ربه ... اليوم غرم وغداً غنم [1]

* * *

ان وجدنا لحسن عذرك صدقاً ... لم نغادر عليك للخلق حقاً
ولئن صح في الهوى لك عهد ... لم تجد في ودادنا لك مذقا

هل تصح التوبة عن ذنب مع الاصرار على غيره : من تنوعت معصيته وتجنست [2] مساويه قبل من البعض اعتذاره وان دار على البعض اصراره فما كل من ترك نُكراً رزق بجميع احواله خبرا ولئن قبح اقتراف ما ارتكبه فلقد حسن الاعتراف بما جانبه ومن وجب عليه حقوق صح للبعض قضاؤه وان توجه للباقي اقتضاؤه ومن ستر جميع الزلل بفضله فلا غرو ان يقضي البعض بطوله .

لئن صح في حكم الهوى لك لحظة ... فكل ذنوب بعدها لك تغفر
واي حبيب لم تكن منه زلة ... ولكننا بالجود والفضل نستر

٣ ـ فصل : التوبة تصح من العاجز عن مثل ما عمل : من صدقت على المعاصي ندامته وجبت بحسن المغفرة كرامته . من تيسر منه مثل ما عمل أو تعذر شاهد [3] نهيه سبحانه وتعالى عن القنوط وحكمه للزلة بعد الندم بالسقوط وما دام العبد يوصف بالتكليف فهو على التوبة غير ممدود ومن باب الانابة عليه غير مسدود واذا كان قبول التوبة فضلاً غير مستحق وورد بها خبر ذي صدق ، وجب القطع بها جوازاً والمنع من خلافها بالشرع اكراماً من الله واعزازاً :

---

(١) في الاصل : غم وقد صلحت في الحاشية .
(٢) تجنست ، تنوعت .
(٣) في الاصل : شاهده .

اسلفت من عمرك ما قد صفا منهمكاً في غمرات الخطل
حتى اذا القوةُ زالت وقد اقعدك العجز وحل الفشل
تبت الينا في هذا [1] مستجمعاً فيك فنون الخجل
فانت عندي بمحل الرضا وقد غفرنا لك كل الزلل

* * *

يا تائباً عن فعل عصيانه بعد تماديه وطغيانه
ارجع الى الوصل الذي بيننا فقيمة العبد بايمانه

٤ ـ فصل في علامات قبول التوبة . من حل عقدة اصراره وواظب على التزام الندم واستشعاره ثم لم يعاود قبيح افعاله ولم يضيع ما اصلح من حاله دل ذلك على قبول توبته ان بقي ذلك الى توبته ، ادامة حصول كربته علامة قبول توبته . عمارة اركان ما انهدم من افعاله امارة غفران ما تقدم من خصاله . حصول اداء التوبة بشروطها دليل زوال الحوبة وسقوطها . سلامة قبول الانابة ادامة الذبول والكآبة .

لو وجدنا لما اعتذرت طريقة لفتحنا الى الوصال طريقه
ولئن رمت في الوداد ضميناً فسيكفيك ما عرفت وثيقه

من نقض بالمعاودة توبته فأمره فيما تاب موكول الى المشيئة محكوم له بما سبق من القضية ان شاء غفره بفضله وان شاء اخذه بعدله . من قطع توبته في المستأنف لم يقطع له بحكم في السالف . من لم يدم ندمه وجب الوقوف فيما قدمه . من عاد في عصيانه لم يجز في القول بغفرانه . من لم يستشعر الخجل الى الأجل لم يحكم له بغفران ما سبق من الزلل .

أناس عصوا دهراً فعادوا بخجلة فقلنا لهم اهلاً وسهلاً ومرحبا
فلما أزلنا عنهم العتب ظاهراً أعادوا لاحياء [2] الخطيئة مذهبا
افيقوا بذا الحق الذي كان بيننا من العتب باقي الحكم ما هبت الصبا

٥ ـ فصل فيمن تاب ثانياً بعد نقضها : من تاب ثم نقض ثم ندم على ما رفض قبل ثانياً وثالثاً ولقي الجفاء حادثاً ولئن اوجب ترك حرمته فيما نقض تعذبنا فلقد اقتضى فرط حشمته فيما رجع تقربنا ولئن ظهر بنقض توبته قلة حيائه فلقد اتضح بحسن اوبته صحة

(١) هكذا في الاصل وقد سقطت منه كلمة او كلمتان . (٢) في الاصل : لاعباء .

وفائه. ولئن كان لجفائه ذميمَ وصف اورث ابعاده فلقد جاء به[1] ذمام الحق اوجب انجاده.

يامكرمي في رجوعي ومهملي في انصرافي
جد بالقبـــول عوداً على فتى غير وافِ
ان تولـه منك عفواً عزلت عنه يد الخلاف

٦ ـ فصل في التوبة التي يجب منها التوبة: من اعقب سابق زلله صادق ندمه وخجله صح بشرط العلم توبته وطاب لغرس الانابة تربته فاذا لاحظ الاقدار وطالع القسمة والاختيار علم ان حتم الازل لا يزاحم بحسن العمل وقبح الزلل فعند ذلك يرى التوبة عن رؤية التوبة فرضاً وتوهم النجاة بالافعال للتوحيد نقضاً والعلم بسبق اختيار الحق بالتوبة يوجب التوبة عن مطالعة التوبة ومن اقتضى بتوبته عوضاً او اقتضى باوبته عرضاً افتقرت الى التوبة توبته وظهرت لذوي البصائر حجته.

اذا ما توهمت النجاة بتوبتي فمن اعظم الزلات ذاك التوهم

* * *

قد قلت للتوبة لما وصفت عن رهج التبديل والشوب
ظننت اني بك انجو غداً يا توبتي توبني من التوب

٧ ـ فصل في توبة المحبين: ربما يشتد البلاء بالمحب فلا يطيق تحمل ما يقاسيه ويضيق وسعه عن تجشم ما يكابده ويعانيه فيعتقد ان يتوب عن الهوى ليتخلص من أليم البلاء واعتقاده ذلك منه غلط وفي حكم الوداد سقط لانه طلب فرجة وترقب فرصـــة وابتغاء رخصة وكان ذلك قصوراً[2] عما يقتضيه الحب ووهناً[2] فيما تستدعيه نوازل الكرب بل يحكم عليه الحب وينقاد لقلوبه[3] القلب ولا شيء اسمج من حب بذل للهوى قياده وترك لحكم الحبيب مراده ثم يرجع فيما وهبه ويقـــدم على حق الحبيب حظه واربه فذلك[4] المفتضح بين المحبين حقاً والمستبدل بصفو مشربه مذقاً.

(١) في الاصل: جابه. (٢) في الاصل: قصور. وهن
(٣) هكذا في الاصل ولعل الكلمة كانت «لانسه او لعذوبته».
(٤) فلذاك.

من ظل عن حكم الهوى تائباً لا قبل الله له توبه

رجوت عن حكم الهوى توبة ياتوبة اقبح من حوبه

وربما يحكم على المحب جمال المحبوب فيطالبه باحكام الغيرة وان يصون جماله عن الملاحظة والنظرة بل عن الفكرة والخطرة او يطالبه جلاله بان يقول معه بترك نفسه و نفي التطلع لوجود أنسه وافياً كل حظ له من امره وايثار مراد محبوبه على مراد نفسه في هجره وقهره وصده ورده وقمعه ومنعه وطرده وبعده يعتقد التوبة على طلب كل ارب وينوي الخمود تحت احكام الحبيب بغير اقتضاء ثم يغلب عليه هواجم الاشتياق وتتمكن منه لواعج الاحتراق فلا يطيق اتمام ما اعتقده ولا ينال ما رام من صبره وقصده فيا عجباً للمحب في هذه الحالة ويا عنفاً عليه لا رحمة فيه ولا استقالة فان حفظ التوبة نسبه الى الملامة وان نقضها قذفه برفض العهد وتضييع الحالة .

اذا انا لا اشكوا تقول مللتني فمالك لا تبكي اقلبك من صخر

وان دمعت عيني تقول شهرتني واظهرت اسراري واخبرت عن امري

وان قلت : هل لى في ودادك حيلة تقول نعم صبراً على الذل والضرّ

وان قلت هل لى من ذنوبي توبة تقول نعم تبقى كئيباً الى الحشر

فتوبة المحب في هذه الحالة حفظها اشرف ورفضها اطرف ، ولسان العذل في حكم الهوى لذيذة وارواح المحبين ببطش الملامة وقيذة واشرف احوال الاحباب تعطل احوال الترتيب وترك المبالاة باللوم والتأنيب والمحب لا يرجى له افاقة ولا يجمل ان يكون له بتحمل اعبائه طاقة فلا يتوب عن حالته ولا يقول باستقالته .

يا واعظاً لى بحسن نصح تطلب عن حبه رجوعي

لا جمع الله يوم حشري الا على حبه ضلوعي

انتهت الفصول في احكام التوبة بعون الله تعالى وحسن توفيقه والصلاة على محمد المصطفى وآله .

ـ التتمة في العدد المقبل ـ